

خطبة الجمعة - الخطبة ٤٠٧٠٤ : خ١- خصائص الإنسان الرباني - خ٢: الكرز واشتراكه مع الاسبرين بمواصفاته.

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٩-٠٦-١١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الخطبة الأولى:

الحمد لله نحده، ونسعى به ونسترشده، ونعود به من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهدى الله فلا مضل له، ومن يضل فلن تجد له ولياً مرشدًا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إقراراً بربوبيته، وإرغاماً لمن جد به وكفر، وأشهد أن سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم رسول الله سيد الخلق والبشر، ما اتصلت عين بنظر، أو سمعت أذن بخبر، اللهم صلّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين أمناء دعوته، وقاده الويته، وارض عنا وعنهم يا رب العالمين. اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلًا وارزقنا اجتنابه، واجعلنا من يسمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

الناس رجال؛ رباني وشهواني :

أيها الأخوة المؤمنون... يقول الله جل جلاله في كتابه العزيز:
﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتَيْهُ اللَّهُ الْكِتَابُ وَالْحُكْمُ وَالنُّبُوَّةُ ثُمَّ يَقُولُ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكُنْ كُونُوا رَبَّانِيْنَ بِمَا كُنْتُمْ تُعْلِمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾

[سورة آل عمران : ٧٩]

كونوا ربّانين، وكل أمرٍ في القرآن الكريم يقتضي الوجوب ما لم تقم قرينةً على خلاف ذلك، يجب أن تكون ربّانين.

أيها الأخوة الكرام... من أدق تعريفات الربّاني من كان حسن العلاقة بالله، هناك إنسان ربّاني وهناك إنسان شهواني، الذي يستجيب لغرائزه شهواني، والذي يستجيب لربّيه ربّاني.
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِبُّو لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ إِذَا دَعَكُمْ لِمَا يُحِبُّكُمْ﴾

[سورة الأنفال: ٢٤]

الربانية حياة النفس، الربانية سعادة أبدية، الربانية سلامه وسعادة في الدنيا والآخرة. يا أيها الأخوة الكرام... بشكل أو بآخر الناس رجال؛ رباني وشهواني، مؤمن وكافر، خير وشرير، مُنصف وجاد، مخلص وخائن، مستقيم ومنحرف، هذه الاتثنينية، إن لم تكن على أحد الخطين فأنت على الآخر حتماً..

﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَبَعُونَ أَهْوَاءَهُمْ﴾

[سورة القصص: ٥٠]

هناك خطّان لا ثالث لهما، حق وباطل، ربّاني وشهواني، مستقيم ومنحرف، صادق وكاذب، محسن ومسيء، خطّان إن لم تكن على أحدهما فأنت على الثاني حتماً، وليس هناك حل وسط، إنسان عرف الله، فاتبع منهجه، وأحسن إلى خلقه، واتصل به، فسعد في الدنيا والآخرة، وإنسان غفل عن ربه، وتفلّت من منهجه، وأساء إلى خلقه، فشقى في الدنيا والآخرة ولن تجد رجلاً ثالثاً، هذا هو التقسيم القرآني، هذا هو التقسيم الذي من عند خالق البشر.

خصائص الإنسان الرباني :

١ – التوحيد :

أيها الأخوة الكرام... الرباني - والحديث عن الربّاني محور هذه الخطبة - الربّاني أولاً هو موحد، فالحياة الربانية من مقوماتها التوحيد، أو أحد خصائصها الكبرى التوحيد، والتوحيد إفراد الله بالعبادة والاستعانة، إياك نعبد وإياك نستعين، وهي الخضوع والحب، واجتناب الشرك، اجتناب أن يُعبد غير الله؛ بشرأً، أو جناً، أو حيواناً كالبقر، أو حمراً، أو شيطاناً، أو وليناً، حينما يُعبد غير الله، أية جهة تُعبد من دون الله شرك، وهو مما حرم على الإنسان، شر إله عبد في الأرض الهوى .

﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾

[سورة الجاثية: ٢٣]

وألا يتخذ بعضاً أرباباً من دون الله، المشرع هو الله، والهدف والقصد هو الله، ونحن رفقاء على الطريق..

﴿يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا﴾

[سورة الفرقان : ٢٧]

مع الرسول، النبي عليه الصلاة والسلام رفيق الدرب إلى الله عزّ وجلّ، الوجهة لله، والإخلاص لله، والحب لله، والخضوع لله، وأي إنسان يدعوك إلى الله، ويبيّن لك، ويفربّك هو رفيق على دربك إلى الله.

أيها الأخوة الكرام... الذي أفسد الحياة الروحية عند المسلمين ليس هو الإلحاد، الإلحاد دائرة ضيقة جداً، الذي أفسد الحياة الروحية هو الشرك:

((إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَتَخْوِفُ عَلَى أُمَّتِي الْإِشْرَاكُ بِاللَّهِ أَمَّا إِنِّي لَسْتُ أَقُولُ بِعِبْدُونَ شَمْسًا وَلَا قَمَرًا وَلَا
وَنَّا وَلَكِنْ أَعْمَالًا لِغَيْرِ اللَّهِ وَشَهْوَةً خَفِيَّةً))

[ابن ماجة عن شداد بن أوس]

على المؤمن ألا يبغى غير الله ولیاً :

يا أيها الأخوة الكرام... من آيات التوحيد، المعنى الأول الذي تؤيد هذه الآية: ألا يبتغي الرباني غير الله رباً..

﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ﴾

[سورة الأنعام: ١٦٤]

لا يبغى المؤمن غير الله ولیاً.

﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَخِذُ وَلِيًّا فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾

[سورة الأنعام: ١٤]

لا يبتغي المؤمن غير الله حکماً.

﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكْمًا﴾

[سورة الأنعام: ١١٤]

﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾

[سورة النساء: ٦٥]

يحكموك في حياتك، ويحكموا إلى سنتك بعد مماتك..

﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مَمَّا قَضَيْتَ
وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾

[سورة النساء: ٦٥]

الآية الرابعة: ألا يبتغي غير رضا ربه غایةً..

﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾

[سورة الأنعام: ١٦٢]

التوحيد أيها الأخوة أحد خصائص الإنسان الرباني..

﴿وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ﴾

[سورة آل عمران: ٧٩]

التوحيد أحد مقومات الرباني، أحد خصائص الرباني.

٢ – الاتباع لا الابداع :

وهناك خصيصة ثانية لهذا الإنسان الرباني الذي أثني الله عليه، بل أمرنا أن نكون مثله، الحياة الربانية تقضي الاتباع لا الابداع.

الحياة الربانية حياة منضبطة بأحكام الشرع الإلهي :

يا أيها الأخوة المؤمنون... حياة المؤمن ليست حياة هلامية رجراجة يشكلها الناس بما يشاؤون وكيف يشاؤن، ولكنها حياة منضبطة بأحكام الشرع الإلهي، حياة الناس اليوم رجراجة، زئبقيّة، أصبحت غازية، الأشياء الجامدة لها شكل وحجم معينان، والأشياء السائلة لها حجم ثابت وشكل مختلف، ولكن الأشياء الغازية حجمها مختلف وشكلها مختلف، ويقاد الإسلام عند التائبين والشاردين، والمنتفعين والمتاجرين يصبح غازاً، يسري في كل شيء، ويتقولب مع كل شيء، ويقبل كل شيء، ويهبط إلى أي مستوى، ويلبي أية رغبة ولو كانت خسيسة. أيها الأخوة الكرام... الحياة الربانية ليست مادة هلامية، ولا مادة رجراجة يشكلها الناس كما يشاؤن، وكيفما يشاؤن، ولكنها حياة منضبطة بأحكام الشرع الإلهي، جوهر هذه الحياة الربانية حُسن الصلة بالله، بذكره..

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾

[سورة الأحزاب : ٤١]

شكراً ..

﴿إِنْ شَكَرْتُمْ لَنَا زِيَادَتُكُمْ﴾

[سورة إبراهيم: ٧]

وحُسن الاتصال به، وحسن عبادته، هذه الصلة أيها الأخوة مضبوطة بأصلين اثنين: العبادة لله وحده. وأن يعبد الله بما شرع لا وفق أمرجتنا وعقولنا الساذجة. والإمام الفضيل رحمة الله تعالى سُئل عن العمل الصالح؟ فقال: ما كان خالصاً وصواباً ، قيل: "ما خالص" وما صواب؟؟ قال: الخالص ما ابتنى به وجه الله، والصواب ما وافق السنة .

شرعية العبادة تستمد من الوحيين الكتاب والسنة وحدهما :

شرعية العبادة أيها الأخوة لا تستمد من تحسين العقل، ولا من تزيين الهوى، بل من الوحي وحده، أو من الوحيين الكتاب والسنة وحدهما. يقول عليه الصلاة والسلام: ((من أحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ فَهُوَ رَدٌّ))

[البخاري عن السيدة عائشة]

((فَعَلَيْكُمْ بِسُنْنِي وَسُنْنَةِ الْخُلُفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمُهَدِّبِينَ عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنُّوَاجِدِ وَإِيَّاكُمْ وَالْأُمُورُ الْمُحْدَثَاتِ فَإِنَّ كُلَّ بُدْعَةٍ ضَلَالٌ))

[ابن ماجة عن العرياض بن سارية]

الرباني موحد، والرباني متبّع..

﴿وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيin﴾

[سورة آل عمران: ٧٩]

يُقابل الربّاني الشهوي.

٣ – الاستمرار في العبادة :

يا أيها الأخوة الكرام... خصيصة ثالثة من خصائص الرجل الرباني، الاستمرار، العبادة عنده ليست ومضات، وليس نوبات، وليس مواسم، أرأيت إلى بعض المسلمين يعبدونه في رمضان، فإذا خرجوا من رمضان عادوا إلى ما كانوا عليه - رمضان ولئن هاتها يا ساق - العبادة مستمرة، نعم هناك عبادة العمر وهي الحج كالإلزام، أما كنف..

((إذا أصححت لعدي جسمه، ووسعته عليه في المعيشة، فأنت عليه خمسة أعوامٍ لم يفد إليّ
لمحروم))

[الجامع الصغير بسند صحيح عن أبي سعيد الخدري]

أما كالإلزام فعبادة العمر..

((منْ حَجَّ الْبَيْتَ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ رَجَعَ كَمَا وَلَدَتْهُ أُمُّهُ))

[أحمد عن أبي هريرة]

وهناك عبادة في كل عام..

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾

[سورة البقرة : ١٨٣]

شحنة تكفيك سنة، وهناك عبادة في كل أسبوع وهي خطبة الجمعة..

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِي لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعُوا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾

[سورة الجمعة : ٩]

قال المفسرون: ذكر الله الخطبة. فاسعوا إلى المسجد مبكرين كي تستمعوا إلى الخطبة، لأن خطبة الجمعة هي العبادة التعليمية الوحيدة، وهناك عبادة يومية هي الصلوات الخمس، كل صلاة تُشحن بها إلى الصلاة التي بعدها، ولكن هناك عبادة مستمرة أن تذكر الله ذكراً كثيراً.

﴿إذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا * وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾

[سورة الأحزاب : ٤٢-٤١]

..

﴿الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾

[سورة المؤمنون : ٢٣]

بالذكر والدعاء، فالخاصة الثالثة من خصائص الرباني أنه مستمر في عباداته، مع أن هناك عبادة العمر، وهناك عبادة العام، وهناك عبادة الشهر، والأسبوع، واليوم، لكن بالذكر والدعاء يعبد الله دائمًا.

٤ - اتسام منهجه باليسير والسرع :

يا أيها الأخوة الأكارم... ومن خصيصة الرباني، إحدى خصائصه الكبرى أن منهجه يتسم باليسير والسرعة.

يا أيها الأخوة الكرام... حياة الرباني الروحية على الرغم من امتدادها، وشمولها، واستمرارها حياة سهلة ميسرة، لا تكليف للإنسان شططاً، ولا تُرهقه عسراً، وهو غير مكلف إلا بما في وسعه، ولا مطالب إلا بما يستطيع، ولكن هذا الوسع وتلك الاستطاعة حدّدها ربنا جل جلاله في قرآن الكريم، وحدّدها النبي عليه الصلاة والسلام في سنته المطهرة، لا يحدد الوسع الإنسان، يحدّد الوسع خالق الإنسان..

﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾

[سورة الحج: ٧٨]

﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾

[سورة البقرة: ١٨٥]

يا أيها الأخوة الكرام... منهج الإسلام منهج يتسع للنمذاج البشرية كلها، لكن النموذج الأول ظالم لنفسه، والثاني ناج، ولكن الثالث متقوّق..

﴿ثُمَّ أَورْثَنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقُ الْخَيْرَاتِ يَأْذِنِ اللَّهُ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾

[سورة فاطر : ٣٢]

قال بعض العلماء: هناك من يكتفي بأداء الفرائض وقد يقصر فيها، وهناك من يدع المحرمات وقد يقع فيها، هذا هو الظلم لنفسه، وهناك من يلتزم أداء الفرائض ولا يقصر، ويتمتع عن المحرمات ولا يقع فهو المقتصد، وهناك من لا يكتفي بترك المحرمات النيرات الواضحة، بل يدع الشبهات استبراءً لادينه وعرضه، ثم يدع المكرورات، ثم يدع ما لا يأس به حذراً مما به يأس، قد يدع الحال الذي قد يجره إلى الحرام، وهذه مرتبة عالية جداً.

هناك من يدع المحرمات، وهناك من يتقى الشبهات، وهناك من يدع المكرورات، وهناك من يدع ما لا يأس به حذراً مما به يأس، وهناك من يفعل التواافق..

((مَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ فَإِذَا أَحِبْتَهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبَصِّرُ بِهِ وَيَدُهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا وَرِجْلُهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا وَإِنْ سَأَلْنِي لِأُعْطِنَهُ وَلَئِنْ اسْتَعَذَنِي لِأُعْيَذَنَهُ))

[الخاري عن أبي هريرة]

لذلك الفرائض تقرب إلى الله، والنواوف تدخلك في مرتبة الحب مع الله. قصة دقيقة جداً تبين عظمة الإسلام: صحابيان وقعا في أسر مسلمة الكذاب، فقال هذا الكذاب لأحدهما: أتشهد أنني رسول الله؟ قال: ما سمعت شيئاً. فأمر بقتله، وقتل، قال للثاني: أتشهد أنني

رسول الله ؟ فشهاد له أنه رسول الله. ماذا كان تعليق النبي عليه الصلاة والسلام على هذين الحديثين ؟ قال عليه الصلاة والسلام: "أما الأول فقد أعزَّ دين الله فأعزَّه الله"، ماذا تتوقعون أن يقول عن الثاني ؟ قال: " وأما الثاني فقد قبل رخصة الله" ، أي أنه أخذ الرخصة، ولا شيء عليه. أيها الأخوة الكرام... هذا الدين دين يُسر لا دين عسر، دين واقعي، دين يتفق مع الفطرة، حتى إن الحياة الروحية تنسع للعصابة المذنبين..

﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ﴾

[سورة الزمر: ٥٣]

هل انتبهتم إلى كلمة:

﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ﴾

هؤلاء الذين عصوا ربهم، وأسرفوا على أنفسهم في المعصية، خاطبهم الله عزَّ وجل ونسبهم إلى ذاته العلية نسبة تشريفٍ وتعظيم، أنه أنت عبدي لم تعصيني ؟

﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾

[سورة الزمر: ٥٣]

من لنا غير الله؟.

يا أيها الأخوة الكرام... الرباني لا يبيس، والرباني لا يقنط، والرباني لا يتراجع، والرباني واثق بالله، هو قد يذنب لكنه سريع التوبة، سريع الأوبة، يكفر عن سيئاته بحسنات..

﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُدْهِنُ السَّيِّئَاتِ﴾

[سورة هود: ١١٤]

٥ – التوازن و الاعتدال :

أيها الأخوة الكرام... ومن خصائص هذا الرباني ..

﴿وَلَكُنُوا رَبَّانِيِّينَ﴾

[سورة آل عمران: ٧٩]

التوازن والاعتدال، فهذا المنهج العظيم لا يقبل التطبع ولا الغلو، الإسلام فيه كلية معرفية، وكلية سلوكيَّة، وكلية جمالية، ولابد من أن تتحرَّك على هذه الخطوط الثلاثة كي تتفوق، فإذا اكتفيت بوحدة تطرفَّت، وكنت مُغالياً في الدين..

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ﴾

[سورة المائدة: ٧٧]

فهذا المنهج القويم لا يقبل التطبع ولا الغلو، هذا التطبع والغلو فيه ظلم للنفس، وظلم للآخرين، فقد بلغ النبي صلَّى الله عليه وسلم أن نفراً من أصحابه أرادوا أن يتقرَّبوا إلى الله بترك الزواج، أو ترك العمل، أو ترك الأشياء المباحة، فجمعهم النبي عليه الصلاة والسلام وقال:

((أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لَهُ وَأَتَقَاكُمْ لَهُ لَكُنِّي أَصُومُ وَأَفْطُرُ وَأَصْلِي وَأَرْقُدُ وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ فَمَنْ رَغَبَ عَنْ سُنْتِي فَلَيْسَ مِنِّي))

[الخاري عن أنس بن مالك]

يقول عليه الصلاة والسلام:

((إِنَّ لِجَسَدِكَ عَلَيْكَ حَقًا وَإِنَّ لِعِينَكَ عَلَيْكَ حَقًا، وَإِنَّ لِزَوْجِكَ عَلَيْكَ حَقًا، وَإِنَّ لِزَوْرِكَ – أَيِّ لِضِيفِكَ – عَلَيْكَ حَقًا))

[الخاري عن عمرو بن العاص]

التوازن والاعتدال، ديننا دين الفطرة، دين الواقع، دين الإنسان بكل جوانبه؛ بجانبه المادي، وجانبه العقلي، وجانبه النفسي، وجانبه الروحي..

﴿قُلْ مَنْ حَرَمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾

[سورة الأعراف: ٣٢]

٦ – منهجه ممتد و شامل :

أيها الأخوة الكرام... من خصائص هذا الإنسان الرباني أن منهجه ممتدًّ وشامل، المسلم الصادق لا يعيش حياته متناقضاً مع ذاته، ساعةً له لنفسه، وساعةً لربه، هذا النموذج المتناقض لا وجود له في الإسلام، ساعةً يعبد الله فيها، وساعةً ينتهك حرمات الله فيها، لا، المنهج الإسلامي منهج الإنسان الرباني، منهجٌ ممتدٌ وشامل، فحياة المسلم الرباني ممتدة، وعميقة، ونافذة، وشاملة في خطوه وفي جلوته، في بيته وفي الطريق، في عمله وعلمه، في سفره وإقامته، في نومه ويقظته..

﴿فَإِنَّمَا تُولُوا فَتَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾

[سورة البقرة: ١١٥]

لذلك شُرع الذكر والدعاء صباحاً مساءً، في الدخول والخروج، في الأكل والشرب، في النوم واليقظة، في السفر والأوبة، وحتى عند الشهوة..

﴿إذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا * وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾

[سورة الأحزاب : ٤٢-٤١]

حتى في أعماله الدنيوية المحسنة؛ فحرفتكم وعملكم إن كانت في الأصل مشروعة، وسلكت بها الطرق المشروعة، وابتغيت بها كفاية نفسك وأهلك وخدمة المسلمين، ولم تشغلك عن فريضةٍ، ولا عن واجبٍ، ولا عن طلب علمٍ، ولا عن عملٍ صالح انقلبت حرفتكم إلى عبادة. أيها الأخوة الكرام...

((إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلاً أَنْ يُتْقِنَهُ))

[الجامع الصغير عن السيدة عائشة]

وفي روایة:

((أن يحسنه))

: و

((إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ))

[مسلم عن شداد بن أوس]

.. و

((فِي بُيُوتٍ أَدْنَى اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيَذْكُرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ * رِجَالٌ نَّا
تُلْهِيهِمْ تِجَارَةً وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ))

[سورة النور : ٣٦-٣٧]

يتاجرون ويبيعون ويشترون ولكن هذه التجارة لا تلهيهم عن ذكر الله وإقام الصلاة. أيها الأخوة الكرام... الأعمال الدنيوية المحسنة يمكن أن تنقلب إلى عادات، والعادات غير الخالصة يمكن أن تنقلب إلى آثام، في اللقمة التي تضعها في فم زوجتك هي لك صدقة، وفي بعض أحدهم صدقة، والأرض كلها مسجد، والأعمال كلها قربات، هذه حياة المؤمن الرباني.

٧ - يعبد الله بكل أنواع العبادات :

يا أيها الأخوة الكرام... بقيت حياة المؤمن متنوّعة، فهناك عبادة قوليّة كالذكر والتلاوة، وهناك عبادة عمليّة كأداء الصلوات الخمس، وهناك عبادة ترك وامتناع كالصيام، وهناك عبادة ماليّة كالزكاة، وهناك عبادة ماليّة وبدنيّة كالحج، وهناك فرائض إلزامية، وهناك نوافل تطوعية، والمؤمن بعد أن أنقذه الله من الشراك الجلي والخفي، وأنقذه الله من الكبائر، ثم أنقذه من صغائر المحرمات، ثم أعاشه على ترك الشبهات، ثم ترك المكر وآلات التزييف، ثم انقى بعض الحال خوفاً من أن ينقله إلى الحرام، ثم خلى نفسه من الأغیار، وحلّها بالقرب من الواحد القهار.

أيها الأخوة الكرام عبادته متنوّعة. فاللسان يعبد الله بذكره والدعوة إليه، واليد تعبد الله بكتابه العلم وإنفاق المال، والرجل تعبد الله بأنها تسوقك إلى المساجد والأعمال الصالحة، والعقل يعبد الله حينما يتفكّر في خلق السموات والأرض، والقلب يعبد بالإخلاص.

يا أيها الأخوة الكرام... هناك الفرائض، وهناك النوافل، وهناك فرائض الكفاية، وهناك الفرائض العينية، وهناك الفرائض العينية الجماعية كالجهاد في سبيل الله..

يا أيها الأخوة الكرام إذا قلنا: الجهاد، هناك جهاد النفس والهوى وهو في المرتبة الأولى، فالمهزوم أمام نفسه لا يمكن أن يقف أمام عدو متغطرس، ولا أمام غاصب محتل، لابد من أن تجاهد نفسك وهواك. ثم هناك الجهاد الدعوي وهو جهاد كبير، كما قال الله عز وجل:

((وَجَاهِدُهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا))

[سورة الفرقان : ٥٢]

ثم هناك الجهاد القتالي وهو ذروة سنام الإسلام. فقيه محدث مجاهد أرسل رسالة إلى أخيه العابد الزاهد فقال:

يا عابد الحرمين لو أبصرتنا لعلمت أنك في العبادة تلعبُ
من كان يخضب خده بدموعه فنحورنا بدمائنا تتذمّبُ

* * *

معنى ذلك: الإنسان له هوية، فالغني مثلاً لا يقبل منه أن يصوم الاثنين والخميس، وأن يقرأ الأوراد، عبادته الأولى إنفاق المال، والعالم عبادته الأولى تعليم العلم، والطبيب عبادته الأولى معالجة المرضى ولا سيما الفقراء، والقوى عبادته الأولى إنصاف المظلومين، يجب أن تعبد الله بالهوية التي أقامك فيها، ثم في الظرف الذي وضعك فيه، ثم في الوقت الذي أطلقك. بهويتك بما أقامك، وبظرفك الذي وضعك فيه، وبالوقت الذي أطلقك.

تخيص لأهم صفات الإنسان الرباني :

أيها الأخوة الكرام... هذا هو الإنسان الرباني، يعبد الله بكل أنواع العبادات؛ من قوله، إلى فعلية، إلى مالية، سراً وجهاً، وهو يطبق منهجه طوال حياته، وفي كل مناح حياته، وفي كل شؤون حياته، ومتوازن مع توازن المنهج الإلهي، وهذا الرباني إليها الأخوة يأخذ الرخص التي سمح الله بها، وهو متبع لا مبدع، وهو موحد لا مشرك، هذه خصائص الإنسان الرباني..

﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيهِ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولُ لِلنَّاسِ كُوْنُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكُنْ كُوْنُوا رَبَّانِيْنِ بِمَا كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَرْسُونَ ﴾

[سورة آل عمران: ٢٩]

فإما أن تكون ربانياً وهذه الخصائص، وإما أن يكون المرء شهوانياً فهو شقي في الدنيا والآخرة. إن لم تكن على طريق الربانية - لا سمح الله ولا قدر - فأنت على الطريق الآخر المفضي إلى النار.

أيها الأخوة الكرام... حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم، واعلموا أن ملك الموت قد تخطنا إلى غيرنا، وسيتخطى غيرنا إلينا، فلنتخذ حذرنا، الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هوها، وتمنى على الله الأماني.

* * *

الخطبة الثانية :

أشهد أن لا إله إلا الله ولـي الصالحين، وأشهد أن سيدنا محمدـ عـبـدـهـ وـرـسـوـلـهـ، صـاحـبـ الـخـلـقـ العـظـيمـ، اللـهـمـ صـلـيـ وـسـلـمـ وـبـارـكـ عـلـىـ سـيـدـنـاـ مـحـمـدـ وـعـلـىـ آـلـهـ وـصـحـبـهـ أـجـمـعـينـ.

الكرز واشتراكه مع الأسبرين بمواصفاته :

أيها الأخوة الكرام... في مجلة علمية رصينة صدرت قبل أيام، فيها بحثٌ دقيقٌ جدًا، في هذا البحث إشارة إلى أن إحدى الولايات الأمريكية ميشيغان محصولها الأول هو الكرز، هؤلاء لا يعرفون الآلام المعتادة كآلام المفاصل والتهابها.

باحثٌ متعمقٌ في بحثه أجرى بحثاً عمياً دقيقاً عن الكرز، فوجد سره في المادة الحمراء التي يتلئّن بها، هذه المادة الحمراء اسمها "أنثوسيانين" كل عشرين حبة كرز تساوي من اثنى عشر إلى خمس وعشرين مليغراماً من هذه المادة، قال هذا العالم الباحث: قدرة هذه المادة على تسكين الآلام تُعادل عشرة أمثال قدرة الأسبرين، وأن هذه المادة توقف الآلام بنفس طريقة الأسبرين، فهي تعطل عمل الأنزيمات المسيبة للالتهابات التي ينتج عنها الإحساس بالألم. وهذه المادة لها خاصية أخرى، فهي توقف عمل بعض النواتج الثانوية الناتجة عن الاستقلاب الهدمي، والاستقلاب تحول الغذاء إلى طاقة، في مقبل العمر الاستقلاب بنائي، بعد الخامسة والثلاثين أو الأربعين الاستقلاب هدمي، عن هذا الاستقلاب الهدمي ينبع مواد تعيق الانتفاع بالغذاء، هذه المادة الحمراء في هذه الفاكهة توقف عمل بعض النواتج الثانوية التي تُخْفِض كفاءة الاستفادة المثلث من الغذاء، ومفعول هذه المادة الفعالة في هذه الفاكهة يشبه تماماً مفعول الفيتامين C وفيتامين A، عشرون حبة من الكرز تساوي قرصين من الأسبرين دون مضاعفات. أليس في الغذاء دواءً؟ قال بعضهم: خير الغذاء ما كان دواءً، وخير الدواء ما كان غذاءً.

يا أيها الأخوة الكرام... ربُّ كريم وهو حكيم، وكل شيء من صنع يديه خيره عميم..

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولَئِكَ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾

[سورة آل عمران: ١٩١-١٩٠]

الدعاء :

اللهم اهدنا فيمن هديت، وعافنا فيمن عافت، وتولّنا فيمن توليت، وبارك اللهم لنا فيما أعطيت، وفقنا واصرف عنا شرّ ما قضيت، فإنك تقضي بالحق ولا يقضى عليك، وإنه لا يدخل من واليت، ولا يعزّ من عاديت، تبارك ربنا وتعالى، ولوك الحمد على ما قضيت.

اللهم أعطنا ولا تحرمنا، أكرمنا ولا تهنا، آثرنا ولا تؤثر علينا، أرضنا وارض عنا، أصلاح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا، وأصلاح لنا دنيانا التي فيها معاشنا، وأصلاح لنا آخرتنا التي إليها مردّنا، واجعل الحياة زادنا من كل خير، واجعل الموت راحة لنا من كل شر، مولانا رب العالمين، اللهم اكفنا بحلالك عن حرامك، وبطاعتكم عن معصيتك، وبفضلكم عمن سواك.

اللهم أعننا ولا تحرمنا، اللهم إنا نسألك من الخير كلّه، عاجله وآجله، ما نعلمه، وما لا نعلمه يا رب العالمين، ونعوذ بك من الشر كلّه عاجله وآجله، ما نعلمه وما لا نعلمه يا رب العالمين، اللهم بفضلك ورحمتك أعلّ كلمة الحق والدين، وانصر الإسلام وأعزّ المسلمين، وخذ بيد ولاتهم إلى ما تحب وترضى، إِنَّكَ عَلَىٰ مَا تَشاءُ قَدِيرٌ، وَبِالْإِجَابَةِ جَدِيرٌ ..

والحمد لله رب العالمين